

الفكر والعمل عند الإمام العسكري عليه السلام



محاور الموضوع

تصدير:

«...وعليك بالصبر وانتظار الفرج... فاصبر يا شيخي ومعتدي أبا الحسن وأمر جميع شيعتي بالصبر فإن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته»^(١).

(الإمام العسكري عليه السلام)

(١) الأنوار البهية، المحدث القمي، ص ١٦١. (باختصار).

- قبس من النشاط الفكري والعلمي للإمام العسكري عليه السلام
- كليات النشاط العملي للإمام العسكري عليه السلام
- الإمام العسكري عليه السلام والتمهيد للإمام المهدي عليه السلام

الهدف:

بيان السيرة العلمية والعملية للإمام العسكري عليه السلام وتمهيد لخلافة المهدي المنتظر عليه السلام

الإمام العسكري عليه السلام من السجن وأحضره، فقال له: أدرك أمة جَدِّكَ. فقال عليه السلام: «دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث».

فقال الخليفة: قد استعفى الناس من المطر واستكفوا، فما فائدة خروجهم؟ قال عليه السلام: «لا يزال الشك عن الناس». فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث، فخرجوا وخرج الإمام عليه السلام ومعه خلق كثير، فوقف الراهبان ورفعوا أيديهم إلى السماء فغيمت في الوقت ونزل المطر.

فأمر الإمام عليه السلام أن يقبض على يد الراهب ويؤخذ ما فيها، فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي أسود، فأخذه عليه السلام ولقَّه في خرقة وقال: «استسق الآن». ففعل ورفع يده فانكشف السحاب وانثشع الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك!! وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد.

فقال عليه السلام: «عظم نبي من أنبياء الله عزَّ وجلَّ ظفر به هؤلاء من بعض قبورهم، وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر». فامتنح الناس ذلك فوجدوه كما قال^(٢) عليه السلام.

تسببت هذه القضية في الإفراج عن الإمام عليه السلام وازدياد شعبيته واحترامه في الرأي العام، وقد استغل الإمام هذه الفرصة وطلب من الخليفة الإفراج عن أصحابه الذين كانوا سجناء معه، فأفرج عنهم.

٣. الرسائل والوصايا الجامعة: نذكر

الواسعة على نطاق المجتمع بشكل عام، غير أنه ورغم تلك الظروف ربي وعلم طلاباً كان لكل واحد منهم دور في نشر المعارف الإسلامية ومواجهة شبهات الأعداء. وقد عدَّ الشيخ الطوسي تلامذة الإمام بما يزيدون على المائة^(٣)، وكان من بينهم شخصيات بارزة وكبيرة، ومضافاً إلى تعليم وتربية الشخصيات كانت تظهر بعض المشكلات والشبهات الموصلة للمسلمين لا يمكن حلها ومعالجتها إلا على يد الإمام العسكري عليه السلام. ولتبيين ذلك نكتفي بذكر ثلاثة نماذج:

١. توجيه الشيعة للرجوع في ما يحتاجونه إلى العلماء الفقهاء من شيعته: عند عدم القدرة على الرجوع إلى إمامهم بالوسائل الأخرى.

٢. الجاثليق يبسط راحتيه: قحط الناس بسامراء قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد أن يخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصراني والرهبان، وكان فيهم راهب كلما مدَّ يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلمهم، فهطلت السماء بالمطر، وسقوا سقياً شديداً حتى استغفوا. فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصبا ومال بعضهم إلى دين النصرانية، فشقَّ ذلك على الخليفة، فأمر أن يخرج

الإمام العسكري عليه السلام في سطور:

- ولد في المدينة في الثامن من ربيع الآخر سنة ٢٢٢ هـ.
- واستشهد يوم الجمعة الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ وعمره ٢٨ عاماً. دفن مع أبيه الهادي عليه السلام في سامراء.
- من ألقابه: التقى، النقي، الرفيق، الزكي، العسكري
- كنيته: أبو محمد.

تمهيد

واصل الإمام العسكري عليه السلام مهام الإمامة بعد والده الإمام الهادي عليه السلام وعاصر في فترة إمامته القصيرة (ست سنوات) حكومة ثلاثة حكام من العباسيين هم المعتز والمهتدي والمعتمد. وكانت المعاناة مع الدولة العباسية ما زالت شديدة، وقد عبَّر عنها الإمام عليه السلام بقوله: «ألا لا يسلمن علي أحد، ولا يشير إلي بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم»^(١).

قبس من النشاط الفكري

والعلمي للإمام العسكري عليه السلام:

على الرغم من أن الإمام العسكري عليه السلام وبسبب الظروف العصيبة والمضايقات الكبيرة التي كان يتلقاها من الحكم العباسي لم يتوفر له الفرصة في بث معارفه

(٢) نور الأبصار: ١٦٧ الشبلنجي: - كشف الغمة، الايلي: ٢/٢١٩.

(٢) رجال الطوسي: ٤٢٧.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٩.

منها رسالة الإمام عليه السلام إلى الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمي أحد أكبر فقهاء الشيعة في قم، وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين... والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين.

أما بعد، أوصيك يا شيخني ومعتدي وفقك الله لمرضاته، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... واجتناب الفواحش كلها، عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة الليل فليس منا فاعمل بوصيتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه وعليك بالصبر وانتظار الفرج... فاصبر يا شيخني ومعتدي أبا الحسن وأمر جميع شيعتي بالصبر فإن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته»^(١).

كليات النشاط العملي للإمام

العسكري عليه السلام :

لأننا لا نستطيع أن نتفصل الحياة العملية للإمام العسكري عليه السلام في هذه العجالة، سنتوقف مع كلياتها ونفصل في قضية مهمة منها ترتبط بالتمهيد للإمام المهدي عليه السلام من قبل الإمام العسكري عليه السلام. فعلى الرغم من حملة المضايقة والاضطهاد التي فرضها الحكم العباسي على الإمام وأصحابه وشيعته. راح الإمام العسكري عليه السلام يمارس نشاطاته السياسية والاجتماعية للدفاع عن الإسلام والمجتمع ويمكن حصرها بالآتي:

- المساعي العلمية في الدفاع عن الدين الإسلامي ومواجهة الشبهات والإشكاليات وعرض الفكر الإسلامي الأصيل.

٢. إيجاد شبكة اتصالات مع الشيعة في المناطق المختلفة من خلال نصب الوكلاء والممثلين والمراسلات.

٣. ممارسة النشاطات السياسية السرية رغم أجواء الرعب والرقابة من قبل الحكم العباسي.

٤. تقوية ورص صفوف الشيعة بدعمهم مالياً والوقوف إلى جانبهم في الأزمات وقد تحولت الشيعة في عصر الإمام العسكري عليه السلام إلى قوة ضخمة في العراق، وكان الجميع يعلم بأنهم مخالفون للخلفاء والحكام ولا يعترفون بشرعية أي واحد من العباسيين ويؤمنون بأن الإمامة الإلهية باقية في أولاد علي عليه السلام.

٥. توجيه رجال الشيعة وشخصياتهم البارزة سياسياً.

الإمام العسكري عليه السلام والتمهيد للإمام المهدي عليه السلام

إن المهمة العملية المميّزة في إمامته عليه السلام كانت التمهيد لولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته الصغرى والكبرى، ويمكن تلخيص دور الإمام عليه السلام في هذا الاتجاه بما يلي:

أ. النص على الإمام وتعريف شيعته به: عن محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسيد الحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟ قال عليه السلام: «إن الإمام من بعدي ابني، سمي رسول الله ﷺ وكنيته، الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه». قال: «مَن هو يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: ألا إنه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثم يظهر»^(٢).

ب. التأكيد على الصبر وانتظار الفرج: إن انتظار فرج الإمام عليه السلام من أفضل العبادات، جاء في الرسالة التي أرسلها الإمام عليه السلام إلى ابن بابويه القمي: «عليك بالصبر وانتظار الفرج». ج. التحذير من الشك والضعف: فروي عنه عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه

كالخارط شوك القتاد بيده»^(٣).

د. التمهيد العملي للغيبة: والمقصود بذلك أن الإمام عليه السلام عين وكلاء وسفراء من خاصة أصحابه لتبليغ تعليماته وأحكامه إلى شيعته، وذلك بأسلوب التوقيعات، وهذا يعتبر تمهيداً عملياً لما سيحصل في زمن الغيبة الصغرى.

هـ. الإمام العسكري يصرح بخليفته: لأن المتفق عليه عند الشيعة أن الإمام المعصوم يصلي عليه الإمام المعصوم من بعده، فقد صرح الإمام العسكري عليه السلام بأن الذي يصلي عليه هو القائم من بعده. قال أبو الأديان: «كنت أخدم الحسن بن علي عليه السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار فدخلت عليه في علته التي توفي فيها عليه السلام فكتب معي كتاباً وقال: امض بها إلى المدائن فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجديني على المغتسل، قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمَن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي. فقلت: زدني، فقال: من يصلي علي فهو القائم بعدي». فقلت: زدني، فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي». ثم منعتي هيبتة أن أسأله عمّا في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر فإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزّونه ويهتفون به فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة.... تقدّم جعفر ليصلي على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة فجذب برداء جعفر ابن علي وقال: «تأخر يا عم أنا أحقّ بالصلاة على أبي فتأخّر جعفر وقد أريد وجهه واصفرّ. فتقدّم الصبيّ وصلى عليه ودُفن إلى جانب قبر أبيه، ثم قال: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك فدفعها إليه، فقلت في نفسي: هذه بينتان»^(٤).



(٢) غيبة النعماني، ص ١٢٢.

(٤) كمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٢) النجم الثاقب، ج ١، ص ١٣٦.

(١) الأنوار البهية، المحدث القمي، ص ١٦١. (باختصار).